

من تاريخ اليهود:

## اليهود قديما وحديثا (أيادي خفية وراء الفتن)

(٢)

إعداد: عبد الوحيد عبد القادر / الرياض

### اليهود في ظل الحكم الإسلامي:

لقد سبق أن اليهود عانوا معاناة شديدة، ومظالم قاسية من النصارى ومن الذين عاشوا بينهم، فحدث ما حدث لهم من خراب ودمار وإبادة لهم في كل مكان، والآن أريد أن أشير إلى أحوال اليهود وحياتهم في ظل الحكم الإسلامي.

لقد شهد اليهود في حياتهم بين المسلمين في العالم الإسلامي أكرم حياة وعمولوا أطيب معاملة، كانت مضرب المثل لليهود في الأقطار الأخرى.

ولقد شهد على ذلك المؤرخون اليهود والنصارى، بالإضافة إلى المؤرخين المسلمين، فمنذ أن فتح المسلمون فلسطين، سمح الخليفة عمر بن الخطاب لليهود بالعودة إلى القدس ومنحهم قطعة أرض على جبل الزيتون لإقامة الصلوات، كما سمح لهم بعد ذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي بالعودة بعد الاضطهاد والإبادة التي لاقوها أثناء الحروب الصليبية، وأخيرا سمح لهم العثمانيون بالعودة إلى فلسطين بعد طردهم من الأندلس.

وأقدم هنا مثالا على لسان "إميل توما" الذي يقول: "لقد عمل اليهود في الإمبراطورية العثمانية في كل فروع التجارة والعمل والصناعة والعلم. ووصل بعضهم إلى مراكز هامة، وتمتع اليهود كسائر الأقليات داخل الإمبراطورية بقدر كبير من الاستقلال الذاتي والإداري والطائفي، فكان الحاخام باشي أو الحاخام الأكبر هو ممثل اليهود في كل أمر أمام الحكومة، كما سمح لأفراد الطائفة بحرية اختيار رؤسائهم الروحيين، وفرض الضرائب، وحل الخلافات فيما بينهم، وكانت المحكمة اليهودية تحكم بينهم حسب الشريعة اليهودية، كما لم

يحدث أدنى تدخل بالأموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية أو التعليمية، وتمتعت مدارسهم الطائفية باستقلال ثقافي ذاتي-“ (١)

هكذا كان اليهود في كل أرجاء الحكومة الإسلامية لم يُسمع أنهم تعرضوا للظلم وسلب الحقوق والمعاملة السيئة من قبل الملوك المسلمين، وها هو أولاد اليهود يضيّقون على المسلمين حياتهم، ويستبيحون دماءهم، ويرتكبون الجرائم ضدهم بأقسى صورها.  
**دورهم في زعزعة الحكومة العثمانية:**

لقد حاول اليهود في كل فترة من الزمن التحالف مع القوى الكبرى طامعين في الحصول على مصالحهم، ومن ثم زعزعة تلك القوى على حساب برامجهم ومصالحهم، وهذا ما حدث للإمبراطورية العثمانية، حيث تمكنوا من النفوذ الكبير في الحكومة العثمانية، وقد اغتر بهم بعض الملوك العثمانيين حيث أعطاهم مناصب كبيرة في السلطة، وأشفق عليهم وغصّ النظر عن جرائمهم ودسائسهم، ولقد كان لليهود دور كبير في إسقاط الدولة العثمانية، وقد تفننوا لذلك أنواعا من المكائد حيث أظهروا إسلامهم متسترين بستار النفاق ونجحوا في إنشاء جمعية الاتحاد والترقي والاندماج معها، وقد استكملوا أكثر مخططاتهم من وراء هذه الجمعية، ولما كانت الحرب العالمية الأولى اتفق الصهيون مع بريطانيا، وهكذا استطاعوا إسقاط الدولة العثمانية ومن ثم تحقيق أهدافهم البغيضة ألا وهو "إقامة دولة إسرائيل" في قلب فلسطين، وقد حدث ذلك بالفعل، وإن الممعن في التاريخ يجد أن اليهود دائما استفادوا بمكرهم واستعطافهم من القوى الكبرى، ومن العجيب أنهم في أغلب الأحيان نجحوا في برامجهم.

### ظهور هيرتسل:

يقال إن هيرتسل هو أبو الصهيينة، وهو مؤسس الصهيونية وزعيمها الأوحد منذ إنشائها حتى وفاته، وهيرتسل الصحفي المثقف اللامع، وهيرتسل، الروائي والمسرحي، وهيرتسل، المفاوض والدبلوماسي والمناور، الذي امتلأت حياته السياسية - على قصرها -

(١) الاستعمار وفلسطين: رفيق شاكر النتشة، ص: ٤٤.

بمئات المقابلات والاتصالات والرحلات (١)، هيرتسل هذا كان العقل الأعظم بالنسبة للصهيونية وقد ظل زعيما ورئيسا منذ إنشاء جمعية الصهيون حتى وفاته.

**مؤتمر بازل الشهير:**

وقد تولدت فكرة إنشاء دولة إسرائيل في فلسطين في هذا المؤتمر الخطير الذي أتاح لليهود فرصة التشاور والاتفاق الجماعي على إقامة دولة عبرية في فلسطين.

لقد عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في سويسرا سنة ١٨٩٧ م وحضره مائتان وأربعة أعضاء من اليهود، يمثلون خمس عشرة دولة. وترأس هيرتسل المؤتمر، ولم يكن بين الحاضرين من يفوقه شهرة وقدرة على الرئاسة.

أنشأ المؤتمر منظمة صهيونية دائمة واتخذت لها قرارات مهمة، ومن أهم ما جاء في هذا المؤتمر:

- ١ - "تسعى الصهيونية لإقامة وطن لليهود في فلسطين، معترف به وفقا للقانون العام. ولتحقيق هذا الهدف، يتخذ المؤتمر الوسائل التالية:
  - ١ - تعزيز الاستيطان في فلسطين باليهود المزارعين، والحرفيين، والمهنيين، وبناء على قواعد صالحة.
  - ٢ - تنظيم اليهود كافة، وتوحيدهم بواسطة إنشاء المؤسسات المحلية والعامّة وفقا للقوانين السارية في كل بلد.
  - ٣ - تقوية الشعور اليهودي والضمير القومي.
  - ٤ - اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات، التي يجب الحصول عليها، لتحقيق هدف الصهيونية. (٢)
- وعد "بلفور" وإيفائه:**

هذا الوعد له دور كبير في إنشاء الدولة العبرية الإسرائيلية، ووعد بلفور هو عبارة

(١) فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، بيان نويهض الحوت، ص: ٣٣٨.

(٢) فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، ص: ٣٤٨.

عن رسالة من اللورد "بلفور" وزير الخارجية البريطاني إلى روتشيلد، أحد كبار الأثرياء اليهود، ونص العبارة:

"إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدا لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ولا الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى".

وبعد الفحص والتفكير في أبعاد الرسالة يستخرج أن بريطانيا كانت بحاجة إلى حليف قوي في الحرب العالمية الأولى للبقاء على امبراطوريتها ومستعمراتها حيث لم ترد من يقاسمها مستعمراتها فاتفقت مع الصهاينة على أن يشاركوها ويساعدوها في الحرب، فاتفقت الصهاينة معها على شرط أن تمنحها أرضا في فلسطين لإقامة دولة إسرائيل، وقد تم ذلك بعد تحقيق النجاح في الحرب، وأنشئت إسرائيل عام ١٩٤٨ م.

### بريطانيا والمشروع الصهيوني:

تعتبر بريطانيا من أكثر الدول الاستعمارية الأوربية اهتماما بالقضية الصهيونية، لأنها استفادت كثيرا من تجارب اليهود ومكائدهم، وكذلك اليهود استطاعوا من خلال بريطانيا بسط النفوذ إلى كثير من الدول الأوربية والشرقية، ولما استطاعت بريطانيا توسيع رقعة مستعمراتها أرادت أن تقيم قاعدة سياسية في قلب فلسطين تراقب من خلالها على التحركات السياسية على قناة السويس ومن ثم إيجاد الخطة الاستراتيجية ضد تلك التحركات.

"ونظرا لحصول بريطانيا على مستعمرات في ما وراء البحار خاصة في الهند، والخليج الغربي، ومصر كان تطلعها قويا إلى إحياء المشروع الصهيوني وتشجيعه، ومن ثم تجميع عدد من اليهود في فلسطين لتكون لها قاعدة تحمي من خلالها قناة السويس وطرق المواصلات ما بين بريطانيا والهند" (١)، ويعزز موقفنا ما جاء من فكر بريطاني من إنشاء دولة فلسطين: "ولقد كان الساسة الانجليز ينظرون إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين نظرة مادية مصلحة

(١) الاستعمار وفلسطين: رفيق شاعر النتشة، ص: ١٥٩.

بحته، وكانوا يعتبرون أن تنفيذ هذا المشروع الصهيوني أقل كلفة وأكثر ربحاً من إقامة جيوشهم في فلسطين". (١) ولقد أبقي الوزير البريطاني "ايمري" مزيداً من الضوء على محاسن تنفيذ مشروع استيطان فلسطين بواسطة اليهود، فقال: "نحن نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة أن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين، يدين بوجوده وفرصته بالتطور إلى السياسة البريطانية، كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال، ولأداء دور المحطة للطرق الجوية المقبلة مع الشرق". (٢)

كل ما سبق يدل على أن إسرائيل هي مشروع بريطاني مخطط.

### أمريكا والمشروع الصهيوني:

لقد بدأ النشاط الأمريكي لإقامة دولة إسرائيل وتنفيذ المشروع الصهيوني بصورة مبكرة واكبت التطلع الاستعماري الأمريكي لاستعمار الشرق. ونقدم هنا حقيقة تاريخية تدل على أن أمريكا كيف وافقت نهائياً على المشروع الصهيوني في فلسطين ولماذا كان هذا القرار.

"وعندما تأكدت للولايات المتحدة الأمريكية نهائياً هزيمة تركيا، قال ويلسون (الرئيس الأمريكي آنذاك) في ١٩١٨ م: أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا كذلك بعث ويلسون برسالة إلى الحاخام ستيفن وايز يرحب فيها بالتقدم الذي أحرزته الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي البلدان الحليفة بعد تصريح بلفور في ٢٠ / ٩ / ١٩٢٢ م صادقت الحكومة الأمريكية بصورة نهائية على مشروع بلفور فاقترن قرار الكونغرس بتوقيع رئيس الجمهورية، وهكذا دخل الاستعمار الأمريكي شريكاً مضارباً مع الاستعمار البريطاني في فلسطين لبناء الوطن القومي اليهودي ولضمان ما يسميه بالمصالح الحيوية الأمريكية في منتصف الشرق الأوسط". (٣)

(١) أيضاً، ص ١٧٨. (٢) أيضاً، ص: ١٨٢.

(٣) الاستعمار وفلسطين: رفيق شاكر النتشة، ص: ٢٣٥.

وفي نهاية المطاف تحقق هذا المشروع وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية تستفيد وتبسط نفوذها على العالم العربي والإسلامي من خلال الدولة العبرية اقتصاديا وثقافيا وعسكريا.

### دولة إسرائيل مشروع استعماري، تجاري وقاعدة عسكرية أمريكية:

الجميع يعرف أن جميع عمليات الغزو الاستعماري جاءت في أعقاب زرع مشروع تجاري أو مصالح اقتصادية معينة في منطقة ما في العالم المتخلف. ومن أهم الأهداف الأمريكية في إنشاء دولة إسرائيل هو المشروع التجاري وتعميم المصنوعات الأمريكية في العالم العربي والإسلامي.

ولعل أهم ما يمكن أن نقدم هنا بهذا الصدد هو شهادات الساسة الأمريكيين الإمبرياليين وعملاؤهم الصهاينة اليهود، التي تؤكد طبيعة دولة إسرائيل وتبعيتها للإمبريالية الأمريكية. وأنها القاعدة العسكرية التي تنطلق منها أمريكا لتأمين مصالحها.

يقول رابين: "إن العلاقة بين أمريكا وإسرائيل تختلف عن أي علاقة أخرى بين دولتين في العالم، وذلك نظرا لطبيعة دولة إسرائيل المرتبطة ارتباطا مباشرا بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي تعتبر جزءا أساسيا من القواعد العسكرية والسياسية الأمريكية في المنطقة". (١)

ويقول ناحوم غولدمان اليهودي الصهيوني المعروف: "إن بقاء إسرائيل في الظروف الراهنة مدين بشكل قاطع للعون العسكري والسياسي والاقتصادي للولايات المتحدة". (٢)  
فثبت أن إسرائيل أقيمت خدمة لأوليائها وأنها محطة التجارة والاقتصاد والقاعدة العسكرية بالنسبة لأمريكا.

( يتبع )



(١) أيضا، ص: ٣٧٥.

(٢) الاستعمار وفلسطين، ص: ٣٧٥.